

٩- أعيان القرن الرابع عشر

للعلامة المغفور له أحمد باشا تيمور

مجلد افندی اکمل

هو محمد اکمل بن عبد الغني بك فكري بن لطف الله بن حسين ، الشاعر الأديب الطريف ؛ ولد بالقاهرة ونشأ بها واعتنى والده بتعليمه وتهذيبه ، ثم أدخله في الديوان الخديوي للتعليم كتلميذ ، وكان من كبار كتاب هذا الديوان مدة الخديو اسماعيل باشا ، فجود الخط به وألم باللغة التركية ، وكانت له حدة بظهره شوهت خلقه ، ورأى والده أن لا مطمع في استخدامه بمنصب لائق ، لحديثه وقصر قامته ، فاستحسن له طلب العلم بالأزهر ، وكان يرجو أن يكون من كبار العلماء ، فلزم الطلب به وقرأ النحو والعلوم العربية على الشيخ أحمد المنصوري ، والشيخ محمد البجيرمي ، وكان أحذب مثله ، وكثيراً ما كان يقعه بجواره في حلقة الدرس . ثم انقطع عن الطلب ولازم والده ، وكان والده جماعة للكتب ، مغالياً في اقتنائها شراء واستنساخاً ، ينفق عليها جل ما يصل ليد ، ويحيي الليالي في مقابلة ما يستنسخه منها وتصحيحه وضبطه ، فكان المترجم يعاونه في ذلك ، واطلع بهذا السبب على كثير من الكتب العلمية والأدبية والدواوين الشعرية ، وعاشر من كان يجتمع بوالده من العلماء والأدباء وتردد عليهم واستفاد منهم ، وعرف مدة طلبه بالأزهر كثيراً من أدبائه وشعرائه المجيدين كالشيخ عبد الرحمن قرآنة ، والشيخ أحمد مفتاح وحفني بك ناصف وغيرهم ، فاستفاد منهم أيضاً ، ونظم الشعر والزجل وأدوار الغناء ، واشتهر بحسن المحاضرة وملاحة التندير وسرعة الجواب وخفة الروح ، وكان كثيراً ما يجعل محور تنديره دائراً على حديثه ، فيأتي بما يضحك الثكلى ، بل كان لا يأنف من ذكرها في شعره ، كقوله من زجل في الوباء الذي حل بمصر أوائل سنة ١٣٢٠ وما فعله الأطباء من الهجوم على الدور وترويع ربات الخدور :

شاعرٌ ونائرٌ زجالٌ عالٌ فنّ الأدب فیده (١) لعبه
لطيفٌ زكيٌ وفهمه سيالٌ ورقته من الله وهبه
مخلصٌ لا خواؤه وميالٌ نادرة زمانه وله حده
ما فيهش عيب ظاهر معروفٌ قصيرٌ ولكن فيه أقصر
واللي يعيش ياما ييشوف واللي ييمشي يشوف أكثر
ومن ولوعه بحديثه شرع في جمع كتاب في نوادر الحدبان
وما قيل فيهم من الأشعار ، وتراجم مشهورهم ، أخبرني أنه جمع منه جزءاً إلا أنه لم يتمه

ونقل والده مدة محمد توفيق باشا الخديو من الديوان إلى المحاكم الأهلية قاضياً ، وتوفي يوم الثلاثاء ٢٩ المحرم سنة ١٣٠٧ وخلف له ولاخوته ضيعة بالصعيد أصاب المترجم منها ستون (فداناً) باعها وبدد ثمنها بالاسراف حتى احتاج للاستخدام بديوان الأوقاف بمرتب قليل دون الكفاف ، وعاش في ضيق ومضض بعد ما تعود من السعة والرفاهية ، وأخذ يتقرب للخديو بنظم التواريخ في كل عيد واحتفال وحل ورحال وينشرها في صحف الأخبار رجاء أن تبلغه فيأخذ بيده فلم يستفد شيئاً وراح تغزله في الریح ، وكان قصر شعره في أواخر عمره على هذه التواريخ فنظم منها الغث والسمين . وكنا إذا قرب عيد أو سفر أو قدوم للخديو لا ننتفع به لاشتغاله بالنظم والحساب وإعمال الروية فيصير هذا ديدنه في غدوه ورواحه وقيامه وقعوده حتى يمن الله عليه بشيء يرتضيه

وترك له والده غير الضيعة داراً بسوق الزلط بيعت أيضاً ، وترك خزانة كتب كبيرة قل أن تضارعها خزانة في نقائس الكتب ونوادر الأسفار ، وهي التي أفنى عمره وماله في جمعها ، وأتعب نفسه في تصحيحها وضبطها ، وصبغ الورق وصقله لنسخ ما كان يستنسخه منها ، فوق ما كان يتكلفه من السعي في البحث عنها في الخزائن المهجورة وعند الوراقين ، واتخذ له في داره مصنفاً للتجليد ، واستخدم عدة نساخ أجرى عليهم المرتبات فاختصوا بالنسخ له لا يشتغلون لسواه ، وكان هو وعبد الحميد بك نافع من أدباء القرن الثالث عشر يتباريان في ذلك ويتسابقان . أخبرني المترجم عن والده أنه بلغه أن تاجراً من الوراقين قدم من سفر بكتب أوصاه عبد الحميد بك نافع بجلبها له وبينها ديوان البحري

معا ثم ينصرف ، فتارة كنا نحني الليالي بمسامرات أدبية ومذاكرات علمية ، أو بمطالعة بعض الكتب ، وتارة بمقابلة ما كنت أستنسخه وتصحيحه ، وكان لا يمل من المقابلة معها يطل الوقت فيها ، ويقول هذا شيء دربنى عليه والدي وعودنى إياه من الصغر . وأشار على مرة استاذنا العلامة محمد محمود الشنقيطي أن أطلع أمالي أبي علي القالي مطالعة امعان وتدبر ، ولم تكن طبعت بعد ، فاستنسخت منها كرايس عكفت على مطالعتها ، وأخبرت المترجم أنني سأحتجب عن الناس بضعة أيام حتى أستوفي ما بهذه الكرايس ، فغاب عني ثلاثة أيام ثم حضر ومعه زجل ، ينحى فيه على الأستاذ وعلى أبي علي القالي اللذين تسببا في انقطاعي عن الإخوان ويذكر فيه بعض من كان يجتمع بنا

وقد أطلعت على رسالة عندي جمعها الشيخ أحمد الفحماوى صاحب الخط الحسن ، المشهور بكتابة لزوم ما يلزم للمعري وسماها (بنات أفكار وعرائس أبكار في ألقاب أهل العصر) ذكر بها كنى وألقاباً وضعها لفضلاء أواخر القرن الثالث عشر عبد الحميد بك نافع ، وابراهيم افندى طاهر الشاعر الرقيق المشهور على سبيل المزاح والدعابة ، فلقبا كل واحد بلقب شاعر متقدم ، أو رجل مشهور يوافق اسمه هيئة الملقب به ، أو شيئاً يغلب على أخلاقه وأحواله ، كتلقيبهما مصطفى افندى المنعوت بكامل بالعكوك ، لأنه كان قصيراً جداً معوج القدمين ، وتلقيبهما الشيخ محمد الرافعي الكبير شيخ رواق الشاميين بالأزهر وأحد كبار علمائه بملأ مسكين ، لأنه كان نحيفاً وبقوامه بعض احديداب يرى كأنه تواضع وانكسار ، وتلقيبهما عبد الغني بك أبا المترجم بالأخطل ، لأنه كان ضخماً الجسم كبير الهامة . فلما اطلع المترجم عليها جن بها جنوناً وشرع في وضع رسالة تماثلها في فضلاء عصره ، وسألني مشاركتة فيها كما فعل ذاك الأديبان فامتنعت خشية اللوم ، فانفرد هو بتأليفها وأتى فيها بغرائب ذهب أغلبها عن الذهن لطول العهد ، فمن ذلك تلقيبه للعالم الفاضل على رفاعة باشا ابن رفاعة بك المشهور ، بابن المقفع لنحافته ودخول شذقيه ، وتلقيبه للعالم الفاضل يحيى افندى الأفغانى ، بالقُدورى لغرابة شكله وقصر ساقيه تشبيهاً له بالقدر من الفخار ، والقُدورى اسم عالم من الحنفية مشهور . وكان الشيخ محمد الحفنى المهدي ابن أخى مفتى مصر الشيخ العباسى المهدي ولماً بزم الناس

وكان إذ ذاك لم يطبع بل لا يعرف في مصر إلا باسمه ، فأسرع إليه وبذل له مالا فوق قيمة الديوان على أن يعيره له يوماً وليلة فقط يطالع فيه ، فرضى وأعاره إياه ، فلما أتى به لداره أعطاه لمجلده ففك له تجليده وأحضر في الحال عدة نسخ فرقه عليهم كرايس فنسخوه وقابلوه ، ولم يمض اليوم والليلة إلا وقد ردت النسخة الأصلية لصاحبها مجلدة كما كانت ، ثم قابله بعد ذلك عبد الحميد بك وأخذ يفاخره بوجود الديوان عنده واختصاصه به ، فقال له خفف عليك يا أخى هذا شيء أكلنا عليه وشربنا حتى مججناه ، ثم أخرج له نسخة الديوان من الخزانة . وبلغه مرة وهو يسمر مع بعض أصحابه أن بعضهم رأى عند فلان الوراق رسالة من الرسائل ، وكان هو يتطلبها من زمن وينشدها فلا يجدها ، فلم يسعه إلا أن قام في الحال وأخذ يسأل عن دار الوراق من هنا وهناك حتى اهتدى إليها بعد ما مضى هزيع من الليل ، فأيقظه من نومه وسأله في الرسالة بقيمة فوق قيمتها ولم يمهله للصباح بل أنزله من الدار وذهب معه إلى حانوته ففتحه ليلاً وأخرجها له ولم يهدأ له بال حتى باتت الرسالة عنده . فلما مات عرض المترجم كتبه للبيع فبيعت وتفرقت واقتنى نفائسها ونوادرها الكونت لندبرج قنصل السويد بمصر ، وكان من مستعربى الأفرنج المولعين بجمع الكتب العربية ، وأدركت أنا أواخرها فاقنيت منها بضعة عشر كتاباً ، منها ما هو بخط عبد الغني بك نفسه ، وبحواشيها آثار التصحيح واختلاف النسخ التي كان يقابلها بها وكان أول التقائى بالمترجم في دار ابن أختي محمود توفيق بك ، وهى إذ ذاك مجمع الأدباء ومحط رجال الفضلاء ، فلما رأيته استغربت شكله واستماحت محاضرتة ، ثم رأيته يناقش الأدباء ويطارحهم الشعر ، فدنوت منه وكنت صغيراً في أول الطلب ، وقد تعذر على فهم باب أفعل التفضيل ، وأجهدت نفسى في درسين متواليين على تفهمه ، فلم يفتح على شيء فيه ، فسألته عنه فأوضحه لى بعبارة سهلت على فهمه ، فكان بعد ذلك كثيراً ما يقول لى مماًزحاً : إذا ذكرت شيوذك فاذا كرتنى معهم ولا تنسنى . ثم تأهل بنت حنفى بك ، وكان لأسرتها نوع اتصال بنا ، فاتصلت المودة بينى وبينه بهذا السبب ، وازدادت ملازمته لى لما سكن بجوارنا ، فكان يزورنى عصر كل يوم ويبقى حتى نسمر

منقباً عن معانيهم ، لهجاً بها في المجالس ، لم يسلم منه أحد حتى عمه ، واشتهر بذلك حتى أبغضه عارفوه وتحاموا عن الاجتماع به ، فلقبه بابن هرمة ، وهي كلمة سب عند العامة ، فقلت له هذا لا يستقيم لك لأن ابن هرمة الشاعر بفتح أوله فتأنف وقال لا أجد له لقباً ينطبق عليه غير هذا فدعني من شنقيطيتك . ثم لما فرغ منها سألتها عما لقب به نفسه ، ففكر وقال أحسن لقب ينزل على ابن قتيبة ، ثم تركه وتلقب بالمقوتس . وضاعت هذه الرسالة فيما ضاع من أوراقه وأشعاره ، ويغلب على الظن أنه مرقها لأنه وقع له بسببها نفور بينه وبين بعض من لقبهم ، فانه لما لقب صاحبنا وصاحبه الشيخ أحمد مفتاح سلامة طويته ، بالأبله البغدادي ، غضب منه وكاد يتفاقم الشريينهما ، وغضب منه صاحب آخر كان قصيراً ممتلاً يتدحرج في مشيته كما يتدحرج البط لأنه لقبه بابن بطوطة ، فأخفى الرسالة لهذا السبب وطوى ذكرها .

وكان رحمه الله مجيداً في الزجل ، متقناً لصياغة الأدوار التي يتغنى بها ، وأكثر ما كان متداولاً منها بين المغنين في عصره كان من نظمه ، وأما شعره فالاجادة فيه قليلة إلا ما ضمنتها النكت والتنديرات العامية ، فمن أحسن ما وقفت عليه منه قوله من مرثية في صاحبه على رفاعة باشا

جزعت وللحر أن يجزعا وودعت صبرى إذ ودعا
وجادت عيوني على بخلها وحق لها اليوم أن تدمعا
وروع قلبي النوى بعد ما أمنت ومثلي كم روعا
لما الله يوماً أشاعوا به وقالوا أمير العلا شيعا
فما كان أصعب تأيينه وما كان أسوأ موقعا
وما كان حق البكاء ولكن فزعت ولا بدع أن أفزعا
تجرعت من هوله كل صاب وغيرى من الناس كم جرعنا
وما دار في خلدي أنى أرى البدر يرضى الثرى مضجعنا
ولكن شأن الزمان عجيب فما كان أضيع عهداً رعى
يقول النعمى على قضى ولم يدر أن العلا قد نى
نمى سيداً صيته طائر حوى الفضل في شخصه أجمعا
فدكت رواسى الدنى بعده وماد الزمان بما أودعا
وغابت شمس المعارف لما ذوى غصنه بعد ما أينعا
فقل للخطابة ذوبى أسي ولا تطاي بعده مصقعا

وقل للكتابة لا تحفلى بمن يتبجح في المدعى
وقل للعلوم فقدت أميراً مضى تاركاً فضله مشرعاً
وقال مورياً باسم الطبيب سعد بك سامح :

ياسعد مالك معرضاً عنى وقلبي فيك طامح
إني أتيتك قائلاً أنا نائب ياسعد سامح
وقال مورياً باسم محمد ثابت :

ان كنت في ريب بصدق محبتي وسمعت عنى ما تقول شامت
فاعلم فديتك دائماً انى على عهد المحبة يا محمد ثابت
ولما مرضت شقيقتي السيدة عائشة التيمورية وأحست بدنو الأجل نظمت في مرضها أبياتاً لتكتب على قبرها وتركت مصراع التاريخ لمن ينظمه بعدها وهي :

قد كنت عائشة فنوديت ارجى للقبر مأوى كل حى فان
فأتيت صفراً الكف عن مرضاته ومقرة بالعجز والعصيان
جردت من ثوب الهدى لكنلى تاجاً من الاسلام والايمان
ونزلته مستشفعاً بمحمد وتوسلى عفواً من الرحمن
أصبحت ممن زار لحدى راجياً خير الدعا وتلاوة القرآن
لكم البقا إخوان ديني أرخوا

فنظم المترجم التاريخ بقوله : (قبر لعائشة سما بجنان)

٣٠٢ ٨١١ ١٠١ ١٠٦

١٣٢٠

وله غير ذلك مما ذهب عن الذهن الآن ، ولكثرة ممارسته للتواريخ الشعرية كان يأتى فيها أحياناً بغرائب في إبراز المقصود بدون حشو كقوله في تاريخ ولادة ولده عبد الغنى : (عبد الغنى ابن أكمل) .

وكانت وفاته فجأة قبل ظهر يوم الثلاثاء ٢٢ ذى القعدة سنة ١٣٢١ ودفن بمقابر باب النصر رحمه الله تعالى .

مجموعة الستة الأولى للرسالة

لدى الادارة مجموعات مجلدة من السنة الأولى للرسالة تباع بخمسة وثلاثين قرشاً غير أجرة البريد في مصر وبخمسين قرشاً في البلدان الأخرى